(الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل
لأبي البركات النسفي)
للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي المعروف ببصيلة
المتوفى سنة ١٣٥٢هـ
من أول سورة فاطر إلى الآية (٨)
دراسةً وتحقيقاً

للباحثة : نسرين برهان أمين بخاري
باحثة دكتوراه بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور العدد الرابع الجزء الخامس ٢٠١٩م

(الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي) للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي المعروف ببصيلة المتوفى سنة ١٣٥٢هـ من أول سورة فاطر إلى الآية (٨) دراسةً وتحقيقاً

نسرين برهان أمين بخاري

جامعة الملك عبدالعزيز بجدة

Nbri-125@hotmail.com

ملخص

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله .. أما بعد: فإن كتاب (الكنز الجليل) للعلامة إبراهيم بصيلة يُعد من أهم الشروح لتفسير الإمام النسفي رحمه الله وأجلها؛ إذ حوى على ما يتطلبه التفسير من شرح وبيان للمناسبات بين السور، وأسباب النزول، وأوجه القراءات، وانتقاء أحسن ما قيل في مضامين الآيات، والترجيح بينها حسب قواعد معتبرة، فجاء هذا الشرح وافياً في بابه، نفيساً في انتقائه، فضلاً عما امتاز به من سهولة الاطلاع عليه؛ لدقته، وحسن ترتيبه، وروعة تنسيقه، وجودة أسلوبه. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الكلمات المفتاحية :تحقيق، استنباط، القراءات، الراجح، المناسبة، سبب النزول، مسائل، الحكم.

The great treasure on the perceptions of the download and the facts of the interpretation of the sign Ibrahim Basilah

" from ayah number eight to ayah number twelve "

study and investigation

Nesreen Burhan Ameen Bukhari
King Abdulaziz University – Jeddah
Nbri-125@hotmail.com

Summarization

Alhmdullah and peace and blessing be upon the messenger of Allah. This book (Al Knz Al Jalile) written by Ibrahim Bosillah. It is one of the important explantions for the (Madarik Al Tanzil) Written by Al Nesfi, it has includes all needs of explantion and depict appropriate aspects between the Quran's Surah. It chosen the best of what was said in the Ayats of the Quran, and the best explanations of the explain of the Quran. Additionally, the book is characterized by easy reference to which accuracy, it is well organize, fantastic arrange, and coordinate quality style. peace and blessing be upon the messenger of Allah.

Key Words: Investigation, Devising, Readings, The most correct, Occasion, The reason for the descent, Issues, Judgment.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى، وقدَّر فهدى، أحمده على نِعَمٍ تترا، وآلاء لا أدرك لها حصراً، والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبدالله، وعلى آله أنبل وأطهر خلق الله، وسلم تسليماً كثيراً .. أما بعد:

فإن خير ما تسمو به العقول، وتزكو به النفوس، وتعطر به الصحائف، كتاب ربنا، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، أنزله سبحانه للتدبر في آياته، والتمعن في مراده، والتأمل في معانيه، واستنباط حِكَمه و أحكامه، فما من أمر إلا وبيّنه، وما من حُكم إلا وأوضحه، إما بالنص أو الإشارة أو الإيحاء، عَلِمَه مَنْ عَلِمَه، وجهله من جهله، لذا عكف المفسرون على مر العصور في استخراج كنوزه، والتبحر في آلائه، والتفكر في مقاصده، ففتح الله عليهم من أسراره، وأفاض عليهم من بركاته، فظهرت مؤلفات عديدة في علم التفسير، كلٌ على اختلاف مذهبه، وتنوع اختصاصه، ما بين طويل مبسوط، ومختصر موجز.

ومما لجأ إليه العلماء وطلبة العلم في الآونة الأخيرة تحقيق المخطوطات خدمة لكتاب الله تعالى ونيل شرفه العظيم، والخوض في تجربة التحقيق العلمي الموثق، القائم على أصول التحقيق السليم، واكتساب مهارات وعلوم جديدة إحياءً للتراث الإسلامي الرصين، فعزمتُ مستعينة بالله تعالى على المشاركة في تحقيق جزء من مخطوط تفسير (الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي) للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي المعروف ببصيلة، المتوفى سنة (١٣٥٢هـ)، دراسة وتحقيقاً من الآية (٨) إلى الآية (١٢)، والله أسأل عونه وتوفيقه وفتحه وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية الموضوع:

١- إنَّ تفسير النسفي مختصرًا من تفسير البيضاوي، ومن تفسير الزمخشري، غير أنه ترك ما في الكشاف من الاعتزالات، وجرى فيه على مذهب أهل السنة والجماعة، وهذه الحاشية على تفسير النسفي، فالاهتمام بها اهتمام بعدة تفاسير تُعد من أمهات علم التفسير، فقد احتوت على كنوز ثمينة، غزيرة النفع، جمة الفوائد، وفي ذلك من تمام الفائدة ما هو حريّ للعمل في خدمة هذا المخطوط.

٢- تكمن أهمية الموضوع في قيمة تفسير النسفي العلمية، وقيمة هذه الحاشية العلمية والتي تتمثل في:

أ- جمع المؤلف لتحقيقات المفسرين وأقوالهم من الكتب المعتبرة.

ب- تفسير بعض الآيات القرآنية التي لم يوفيها النسفي - **رحمه الله** - حقها من التفسير، وكشف الستار عمَّا في تفسيره من مبهمات وغوامض.

ج- أمانة صاحب المخطوط، وتوثيقه لما نقله في حاشيته على المدارك، والإضافات الغزيرة التي ضمَّنها للحاشية، وبعضها من مخطوطات لم تحقق بعد.

أسباب اختيار الموضوع:

١- الرغبة في خدمة كتاب الله الجليل، لنيل شرفه العظيم.

٢- خوض غمار التحقيق العلمي، واكتساب مهارات جديدة من خلال التعرف على المخطوطات، وكيفية التحقيق.

٣- المشاركة في إحياء التراث الإسلامي، وجعله في متناول أيدي طلبة العلم؛ ليتسنى الاطلاع عليه والكشف عن كنوزه الدفينة.

٤- مكانة تفسير النسفي العلمية وشهرته بين طلاب العلم، لاشتماله على كثير من العلوم، مما يستدعي ضرورة دراسته ومناقشة بعض آرائه وبيان مذهب السلف فيها.

٥- قيمة الحاشية العلمية التي سبق ذكرها.

٦- إنَّ الاشتغال بتحقيق هذا الكتاب من قبِل طلبة العلم، يدعو إلى الرجوع إلى جلّ كتب التفسير، وما يتعلق به من مسائل في علوم القرآن، وعلوم الحديث، والعقيدة، والفقه، وعلوم اللغة، والبلاغة، وغيرها، مما يرفع الحصيلة العلمية لدى الطالب، ويضيف له الكثير من المهارات العلمية والبحثية.

٧- مكانة الإمام النسفي - **رحمه الله** - العلمية، إذ أنه من العلماء المتقدمين الذين كان لهم دورًا بارزًا في إثراء المكتبة الإسلامية بالعلم النافع، فقد كان إماماً في الفقه والأصول والحديث والتفسير، وله الكثير من المصنفات التي تداولها العلماء وتناولوها دراسةً وبحثاً.

٨- مكانة المؤلف العلمية، فقد عُرف بنتاجه العلمي في علوم متنوعة منها: الفقه والنحو.

٩- حوى المخطوط على ثروة نفيسة تمثلت في أقوال العلماء المنقولة من كتب مخطوطة أو مفقودة.

١٠- أن هذا المخطوط لم يحقق من قبل، ولم يطبع حسب علمنا.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث لم نجد عملاً علمياً كتب على تفسير النسفي " **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** " سوى كتاب " **الإكليل تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل** "، تأليف: محمد عبد الحق بن شاه الهندي الحنفي (ت١٣٣٣هـ)، تحقيق: محي الدين أسامة البيرقدار، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى عام : ١٤٣٣هـ، في سبعة أجزاء، وهو شرح مفصّل لمدارك التنزيل [١] .

(١) ذكر ذلك محقق الكتاب في مقدمته (٤/١).

خطة البحث :

يتضمن البحث: مقدمة وقسمان وخاتمة وفهرس المصادر والمراجع.

أما المقدمة فتشتمل على:

- **أهمية الموضوع.**
- **أسباب اختياره.**
- **الدراسات السابقة.**
- **خطة البحث.**
- **منهج التحقيق.**

القسم الأول: قسم الدراسة، ويشتمل على:

التعريف بالعلامة إبراهيم بصيلة رحمه الله وكتابه الكنز الجليل على مدارك التنزيل، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بإبراهيم بصيلة رحمه الله، وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ونشأته.

المطلب الثاني : حياته العلمية وآثاره.

المطلب الثالث: وفاته.

المبحث الثاني: التعريف بحاشية (الكنز الجليل على مدارك التنزيل)، وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: أهمية الكتاب وتوثيق نسبته لمؤلفه .

المطلب الثاني : منهج المؤلف ومصادره في الكتاب .

المطلب الثالث: وصف نسخة المخطوط .

القسم الثاني: قسم التحقيق.

تحقيق جزئية من كتاب (الكنز الجليل على مدراك التنزيل) من الآية (٨) إلى الآية (١٢).

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات.

ثبت المصادر والمراجع.

منهج التحقيق:

١- الاعتماد على النسخة الوحيدة الموجودة لدينا وتعزيز وحدتها بمقابلتها مع موارد المخطوط ومصادر المؤلف التي نقل عنها، مع إثبات الفروق وإكمال النقص في الهامش.

٢- نسخ المخطوط وفق قواعد الرسم الإملائي الحديث مع ضبط المشكل من النص المحقق.

٣- عزو الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها مع كتابتها بالرسم العثماني .

٤- تخريج الأحاديث النبوية وعزوها إلى مصادرها، فإن وجد الحديث في الصحيحين فيكتفى بالعزو إليهما، وإلا خرج من كتب السنة المعتمدة مع ذكر حكم العلماء عليها.

٥- توثيق الأقوال والنقولات قدر المستطاع من مصادرها الأصلية، فإن لم أجد فالفرعية.

٦- عزو الأبيات الشعرية إلى قائليها وتوثيق ذلك من مصادرها.

٧- الاعتناء بالمسائل العقدية التي يوردها الإمام النسفي – **رحمه الله** – والتنبه لها وذلك بالرجوع إلى التفاسير التي اعتنت بالعقيدة السلفية، وإبراز منهج أهل السنة والجماعة في ذلك.

٨- الاهتمام بالمسائل الفقهية الموافقة للدليل دون تعصب لمذهب معين، فالعلامة النسفي – **رحمه الله** – حنفي المذهب ويكاد يقتصر في تفسيره على ذكر مذهبه دون التعويل على غيره من الأقوال في كثير من المواضع، فقد عُرف بتعصبه للمذهب الحنفي.

٩- الترجمة لجميع الأعلام عند ذكرهم لأول مرة، عدا المشهورين منهم: كالعشرة المبشرين بالجنة، وأصحاب الصحيحين.

١٠- التعريف بالمصطلحات والألفاظ الغريبة مع ضبطها بالشكل.

١١- التعريف بالأماكن والبلدان الوارد ذكرها في الكتاب مع بيان موقعها الجغرافي في العصر الحاضر بقدر الإمكان.

١٢- التعليق على ما يحتاج إلى ذلك من المسائل الواردة في المخطوط.

١٣- ذكر اسم المؤلف، ولقبه، واسم الكتاب، وبيانات النشر كاملة، عند ذكر المرجع أو المصدر لأول مرة، وإن تكرر يكتفى بذكر لقبه مع الإشارة للكتاب بلفظ مرجع سابق، وذلك وفق دليل الرسائل العلمية المتبع في الجامعة.

صور المخطوط :

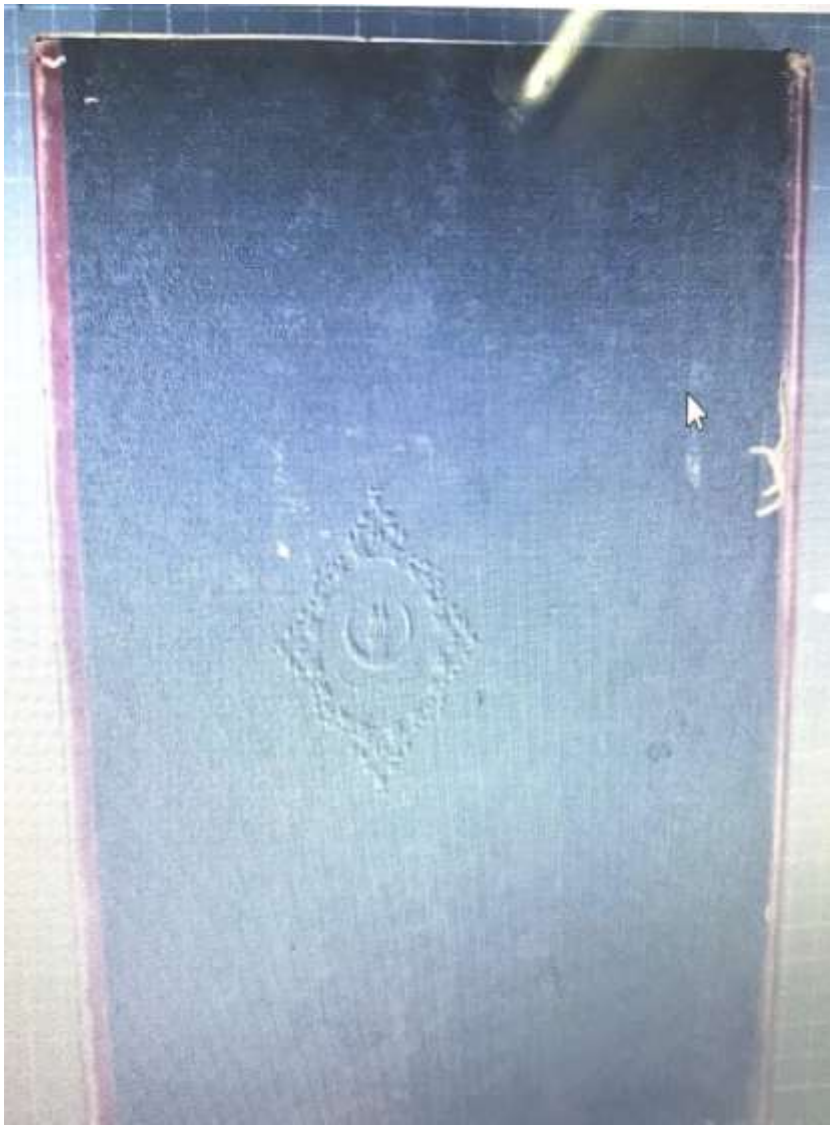

صفحة الغلاف

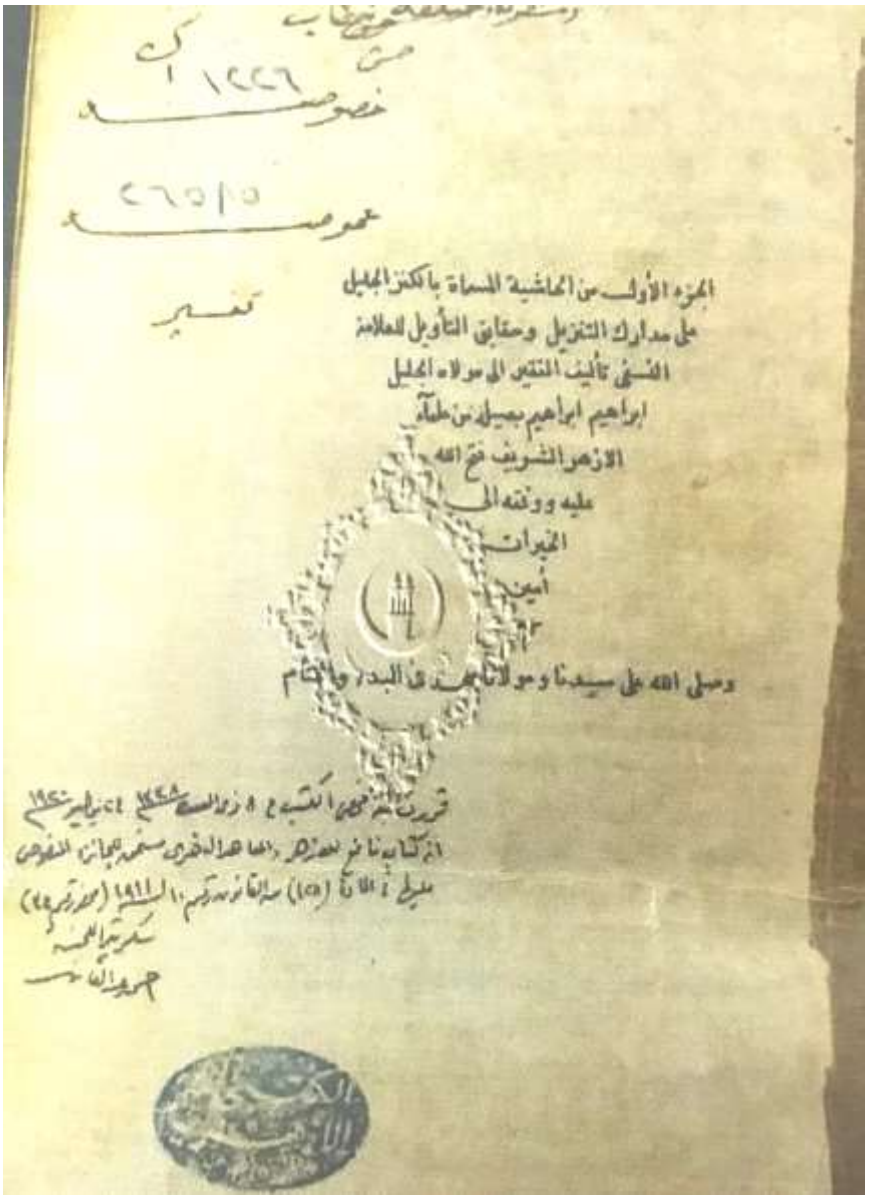

أول صفحة في المخطوط

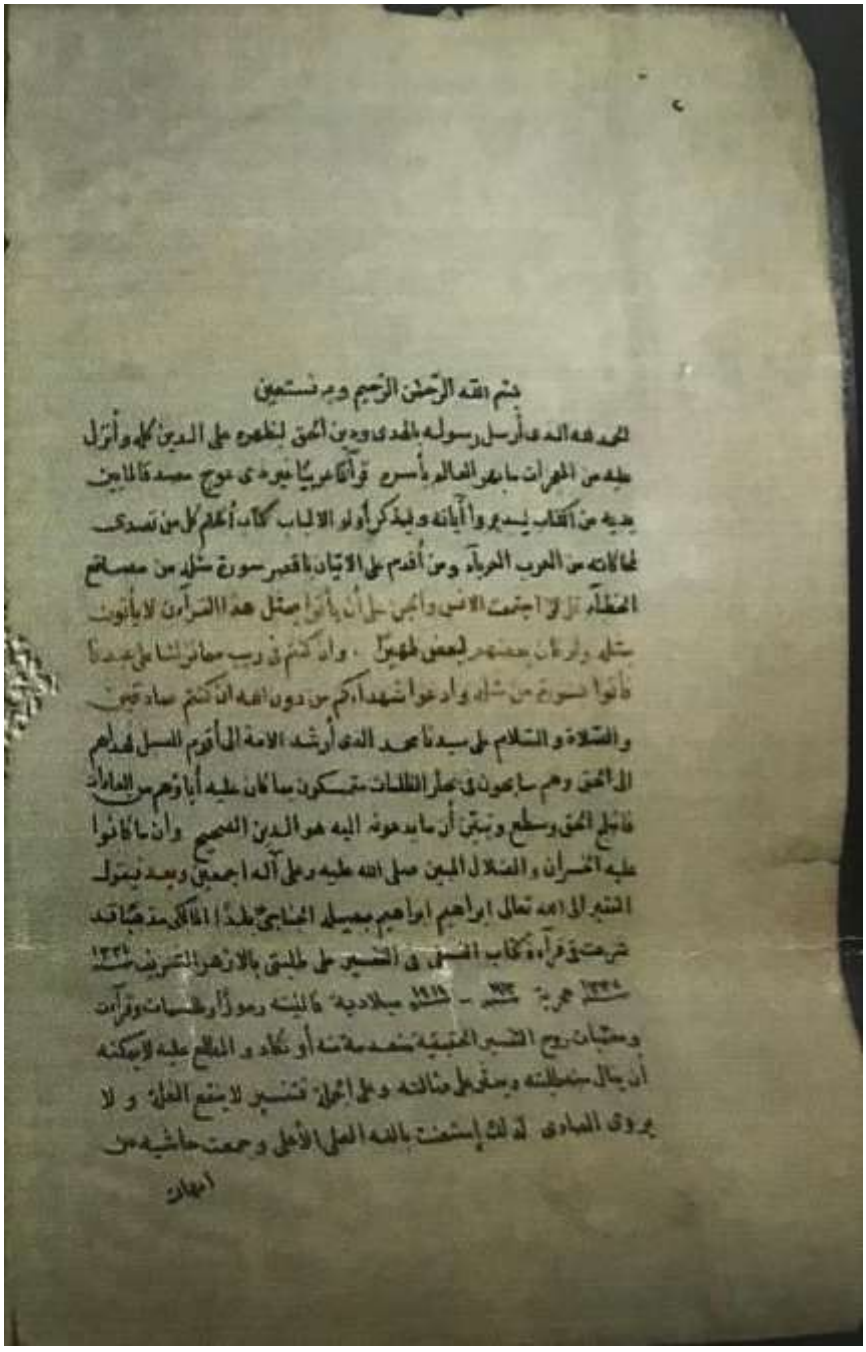

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وأنزل عليه من المعجزات ما بهر العالم بأسره وأنار بوجوده ما عوج محمد فالمبين يدبروا آياته وليذكر أولو الالباب كتاب أحكم كل من تمسك بحبال آياته من العرب العرباء ومن أقدم على الاتيان بأقصر سورة مثله من مصاقع الخطباء فإذا اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أرشد الامة الى أقوم السبل فهداهم الى الحق وهم ساعون في بحار الظلمات متمسكون بما كان عليه آباؤهم من العادات فأبلغ الحق وسطع وتبين أن ما يدعونه اليه هو الدين الصحيح وان ما كانوا عليه الخسران والضلال المبين صلى الله عليه وعلى آله اجمعين وبعد فيقول المنتمي الى الله تعالى ابراهيم ابو اسماعيل الحنابجي حنبلا المالكي مذهبا قد شرعت في قراءة كتاب الكشاف في التفسير على طالبي بالازهر الشريف سنة ١٣٣٤ هجرية ١٩١٥ - ١٩١٦ ميلادية فأثبته رموزا وعلامات وقرأت ومتابعات روح التفسير المحمدية بمقدمة تنه أو تكاد والمطلع عليه لا يمكنه أن يحال بمطالبته ويقف على مناله وعلى إجمال تفسير لا يشبع الغليل ولا يروي العاطش لذلك إستعنت بالله العلي الأعلى وجمعت حاشيته من

أعلام

مقدمة المخطوط

۞ القسم الأول: قسم الدراسة:

المبحث الأول: التعريف بإبراهيم بصيلة رحمه الله، وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ونشأته:

أولاً: اسمه ونسبه:

هو إبراهيم بن إبراهيم بن محمد بن حسن الجناجي، الملقب ببصيلة، مفسر مصري، وفقيه مالكي، منطقي، نحوي، من أهل قرية جناج بمركز كفر الزيات بمديرية الغربية بمصر [١].

ثانياً: مولده ونشأته:

ولد – **رحمه الله** – سنة ألف ومائتين وسبعين هجرية، من أبويين كريمين لهما صلة قرابة، ومات والده في سنة ولادته المذكورة، فكفله أعمامه وترعرع في حجرهم، واعتنوا بتربيته فحفظ القرآن بين يدي معلمه الشيخ عبد الرحمن البربري، وأتمَّ حفظه وتجويده وهو في الثانية عشر من عمره، واشتغل بالزراعة إلى نهاية عام ألف وثمانية وثمانين هجرية [٢].

ولمَّا رأى أعمامه ما تميز به من قوة الشخصية والقدرة على القيام بتدبير شؤون الأسرة وكلوا ذلك إليه، فقام بها خير قيام منذ أن مات عمه الحاج عبدالواحد بصيلة، فصار خير خلف لخير سلف، فاجتهد وكد إلى أن أعلى شأنها ونمَّا ثروتها.

---

(١) ينظر ترجمته في: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، (٢٨/١). عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، مرجع سابق، (٨/١). يوسف المرعشلي، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، ج١، (بيروت/ لبنان: دار المعرفة، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م)، ٥٣. وليد الزبيري، إياد القيسي، مصطفى الحبيب، بشير القيسي، عماد البغدادي، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، مرجع سابق، (٧/١). خاتمة الجزء الرابع والخامس من المخطوط.

(٢) خاتمة الجزء الرابع والخامس من المخطوط.

وكان – **رحمه الله** – ينام مبكراً ويستيقظ مبكراً، ولا يميل إلى الاجتماع بالناس إلا بقدر ما تقتضي به الضرورة والمصلحة، فإذا استيقظ في الصباح أدى صلاة الفجر، ثم اضطجع على سريره فأخذته سنة من النوم حتى تشرق الشمس، فيتناول طعام الإفطار ثم يستريح بعد ذلك قليلاً ويخرج جاعلاً وجهته الأزهر الشريف، فيقرأ درساً مقرراً عليه فقه الإمام مالك بمسجد الحسين ، ويراقب هيئة كبار العلماء حسبما تقضي عليه وظيفته الموكلة إليه وهي مراقبة الهيئة، وبعد الفراغ من الدرس يذهب إلى إدارة الأزهر إن كانت أعمال مصلحية، ثم يذهب إلى داره فيتناول طعام الغداء، ثم يستيقظ فيصلي ويبقى أو يخرج قليلاً، حتى اذا حان وقت العشاء تناول عشاء خفيفاً جداً ثم يصلي وينام وهكذا دواليك. وهذا النظام الذي يتبعه في حياته كلها جعله خلواً من الأمراض، لم يره طبيب، ولم يتجرع دواء حتى بلغ الستين من عمره، وبعد ذلك أثر فيه كبر السن قليلاً فأخذ الأطباء يتحكمون في أكله وفي معيشته.

ولم يرزق بذكور كثيرين بل بقى له ولدان اثنان، أحدهما أحمد، والثاني عبدالمجيد، وله من البنات ست، وكان يحب أولاده حباً شديداً ويعطف عليهم، يلين معهم في غير ضعف، ويشتد عليهم في غير عنف، رباهم تربية دعامتها الدين، فزوج أولاده حينما أدركوا الحلم مباشرة، ووجههم إلى التعليم الديني، وحبب إليهم الفضيلة، وغرس فيهم مكارم الأخلاق، وعودهم التسمك بدينهم فيؤدون الصلاة بلا انقطاع، لا خوفاً منه، لكن حباً في الدين الذي تربوا على مبادئه، وبلغ من شدة حبه لأولاده وإشفاقه عليهم أنه لا يغفوا ما دام أحد من أولاده خارج المنزل، وإذا اضطر أحدهم إلى أن يتأخر قليلاً في الخارج لابد أن يعلمه بالمكان الذي هو فيه حتى ينام مطمئناً [١].

(١) خاتمة الجزء الخامس من المخطوط.

المطلب الثاني : حياته العلمية وآثاره:

لمَّا ارتأى القائمون بتربيته فطنته وسرعة بديهته، وآنسوا ما فيه من الذكاء والاستعداد لارتشاف مناهل العلم، ذهبوا به إلى الأزهر، فدخل وطلب العلم، واشتغل بمذهب الإمام مالك، وباقي العلوم من نحو وصرف وبلاغة وأصول حتى سنة ألف وثلاثمائة وثلاثة هجرية، ثم شرع لأداء الامتحان سنة ألف وثلاثمائة وثلاثة هجرية تحت رئاسة الشيخ محمد المهدي العباسي شيخ الجامع الأزهر ومفتي الديار المصرية وقت ذاك، وعلى يد لجنة مشكلة من ستة أعضاء، وهم: فضيلة الشيخ عبدالرحمن الشربيني، وفضيلة الشيخ أحمد شرف الدين المرصفي الشافعيين، وفضيلة الشيخ أحمد الجيزاوي، وفضيلة الشيخ محمد البسيوني، وفضيلة الشيخ حسونة النواوي، وحصل في النهاية على الشهادة العالمية ونال الدرجة الأولى بتفوق، وكسوة التشريفة من الدرجة الثالثة، ورخصة بنصف أجرة على جميع خطوط السكك الحديدية المصرية، وعقب ذلك شرع في التدريس وترقى في مراتب وظيفته، وتعلم أيضاً الحساب على يد الأستاذ علي حسن بك، هو وخمسة عشر من زملائه، وكان منهم صديقه الشيخ علي سالم الخولي الخباطي والد العالمين الجليلين الشيخ محمد علي الخولي، والشيخ علي بن علي الخولي ناسخ حاشية (الكنز الجليل)، وبعد هذا استحق ومن معه تدريس علم الحساب في الأزهر بدلاً من المعلمين الذين كانوا من الخارج، ومن ثم تدرج في زيادة المراتب حتى ترقى إلى الدرجة المسماة بـ هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف [١].

(١) خاتمة الجزء الرابع والخامس من المخطوط.

مؤلفاته:

للمؤلف رسائل صغيرة كان يكتبها بمناسبة تدريسه للعلوم التي ألفها فيها كالتوحيد والمنطق، نذكر منها:

(١) **(ضوء الظلام الحالك في فقه الإمام مالك):** ألفه في أجزاء، وعلى نمط لم يسبقه فيه غيره، فقد كان يذكر الحكم ثم حكمة تشريعه من الكتاب والسنة والعقل.

(٢) **(المطالب السنية في عقائد التوحيد المرضية):** رسالة في التوحيد، وقدرها خمسة كراريس – وهو مخطوط – .

(٣) **تقريرات – بخطه – على حاشية الصبان في المنطق** – وهو مخطوط – .

(٤) **رسالة في (مبادئ النحو)** – وهو مخطوط – .

(٥) تقرير – بخطه – على حاشية للصاوي، سماه **(تقريرات سنية على حاشية الصاوي في مذهب الإمام مالك)** – وهو مخطوط – .

(٦) **(الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل):** آخر مؤلفاته، وهو حاشية على تفسير النسفي، أبان ما غمض فيه، وانتهى من تأليفه في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الثانية سنة ستة وأربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة، الموافق الرابع عشر من شهر ديسمبر سنة سبعة وعشرين وتسعمائة وألف ميلادية، – وهو مخطوط – في ست مجلدات.

وكل هذه المخطوطات في المكتبة الأزهرية بمصر[١].

المطلب الثالث: وفاته:

توفي رحمه الله في مصر سنة (١٣٥٢هـ) [٢].

(١) ينظر: الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، (٢٨/١). عادل نويهض، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، مرجع سابق، (٨/١). يوسف المرعشلي، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، ج١، (بيروت/ لبنان: دار المعرفة، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م)، ٥٣. وليد الزبيري، إياد القيسي، مصطفى الحبيب، بشير القيسي، عماد البغدادي، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، مرجع سابق، (٧/١). خاتمة الجزء الرابع والخامس من المخطوط.

(٢) وليد الزبيري، إياد القيسي، مصطفى الحبيب، بشير القيسي، عماد البغدادي، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، مرجع سابق، (٧/١).

المبحث الثاني: التعريف بحاشية (الكنز الجليل على مدارك التنزيل)، وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: أهمية الكتاب وتوثيق نسبته لمؤلفه :

كتاب (الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل) من أعظم مؤلفات العلامة إبراهيم بصيلة وآخرها؛ وذلك لما احتوى عليه هذا الكتاب من فوائد جمة، وتعليقات فذة، واستنباطات قيمة، وشروحات هامة، جعلت منه ذا قيمة علمية فريدة، وقد برز ذلك من خلال دقة اختياره لأحسن ما قيل في معاني الآيات من كتب التفاسير المعتبرة، وكشف الستار عما غمض من كلام النسفي رحمه الله تعالى في تفسيره للآيات وما لم يوف شرحه، والإضافات الغزيرة التي ضمنها حاشيته من كتب ومخطوطات لم تحقق بعد، بالإضافة إلى العناية بالبدء في كل سورة ببيان نوعها، وعدد آياتها، وأوجه المناسبات بين السور أو الآيات، وذكر أسباب نزول الآيات إن وجد، وإظهار معنى الغريب من الألفاظ عند تفسير الآيات، وسرد أقوال المفسرين في معنى الآية، مع إيراد الراجح منها أحياناً، وذكر كل ما يتعلق بالآية من مسائل فقهية وعقدية، والقراءات المتواترة أو الشاذة الواردة في كل آية، ونسبة كل قراءة لقارئها، مع توجيهها أحياناً، وبيان الأوجه الإعرابية، وأهم المسائل والشبهات الواردة حول الآيات.

وقد ثبتت صحة نسبة كتاب (الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات النسفي) للعلامة إبراهيم بن إبراهيم الجناجي المعروف ببصيلة – رحمه الله تعالى – من خلال ما يلي:

أولاً: ما ذكره – **رحمه الله** – في مقدمة شرحه فقال: " يقول – الفقير إلى الله تعالى – إبراهيم بن إبراهيم بصيلة الجناحي بلداً، المالكي مذهباً: قد شرعت في قراءة كتاب النسفي في التفسير على طلبتي بالأزهر الشريف

سنة ١٣٣١-١٣٣٢هجرية / ١٩١٣-١٩١٤ميلادية ؛ فالتقيته رموزاً، وطلمسات، وقراءات ، ومعتمات، روح التفسير الحقيقية منعدمة منه أو تكاد، والمُطَّلع عليه لا يمكنه أن ينال منه طلبته، ويعثر على ضالته، وعلى الجملة فتفسير لا ينفع العُلة، ولا يروي الصادي، لذلك استعنت بالله العلي الأعلى، وجمعت حاشية من أمهات التفاسير المعول عليها، والتي يُرجع إليها، كشفت بها عن ذلك النقاب المستتر به ذلك الكتاب؛ فأبنت فيها أغراض المؤلف ومراميه وأبحاثه وما تعرض له، ومع ذلك فلم أضن على القرطاس بتفسير بعض الآيات القرآنية التي تعرَّض لتفسيرها المؤلف – **رحمه الله** – ولم يوف المقام حقه، مسنداً كل ما جمعته إلى ما نقلت عنه من الكتب – تحاشياً من الوقوع فيما يقع فيه لبعض المؤلفين ما يُتوهم إلى أنفسهم– وليرجع المُطَّلع على هذه الحاشية إلى ما نقلت منه إن أراد الرجوع، أو شاء الزيادة بهذه الحاشية الصغيرة على هذه الطريقة المُتقدمة القويمة لبَّس كتاب النسفي – في ذلك الجزء الذي وضح فيه – ثوباً قشيباً من التفسير الحقيقي يختال فيه عجباً، وصار في مُكنة المُطَّلع عليه أن يرتشف من ذلك النهل العذب ما شاء أن يرتشف، ويستفيد منه مالم يكن يستفيده إلا بعد الرجوع إلى تلك الكتب المطولة وتقليب صفحاتها – ولا تسل عما يلزم ذلك من عناء – ، وسميتها : بـ (الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل) " [1].

ثانياً: تصريحه بين الفينة والآخرى في عدد من صفحات وأجزاء المخطوط باسمه واسم مؤلفه بقوله: (ك (رقم) [2]، جزء (رقم)، حاشية

(١) ينظر مقدمة المخطوط.
(٢) رمز الكاف هنا يعني كراسة، وهو لا يتجاوز العشر صفحات في المخطوط.

الكنز الجليل على تفسير النسفي، تأليف الشيخ إبراهيم بصيلة من هيئة كبار العلماء بالأزهر)، وصورته كالختم.

ثالثاً: اقتران ذكر هذا الكتاب بذكر مؤلفه في كتب التراجم؛ ككتاب الأعلام للزركلي (٢٨/١)، وكتاب نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر ليوسف المرعشلي (٥٣/١)، وكتاب الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة لوليد الزبيري، وإياد القيسي، ومصطفى الحبيب، وبشير القيسي، وعماد البغدادي (٧/١).

رابعاً: ما نصت عليه كتب الفهارس من نسبة هذا الكتاب إلى المؤلف؛ ككتاب معجم مصنفات القرآن الكريم للدكتور علي شواخ إسحاق (١٣٥/٣)، ومعجم المفسرين – من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر – لعادل نويهض (٨/١)، والفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن (مخطوطات التفسير وعلومه)، (٨٢٨/١).

المطلب الثاني : منهج المؤلف ومصادره في الكتاب:

يظهر لنا من خلال التتبع لصنيع المؤلف وطريقته في كتابه هذا أن غايته الأولى كانت تنصب في شرح ما عسر وغمض من كلام الإمام النسفي – **رحمه الله** – في تفسيره، فجمع وأحسن انتقاء المعاني من أمهات كتب التفاسير، وبرز منهجه من خلال النقاط التالية:

أولاً: كان – **رحمه الله** – يسرد الآية أو الثلاث أو الأربع آيات، ثم ينتقي أحسن ما قيل في تفسيرها ويعبر عن ذلك بقوله: باطلاعنا على عبارات المفسرين رأينا أحسن ما يكتب على هذه الآية، وبه تتضح عبارة مفسرنا النسفي كل الاتضاح، ما قاله الألوسي ونصه:.....

أو بقوله: بعد مراجعة كلام المفسرين في هذه الآيات، رأيت أحسن شيء يوضح المقام بسهولة، ويتمم مطالب مفسرنا النسفي، هو تفسير الخطيب ونصه: .....

ثم ينهي الكلام بقوله: انتهى وبهذه العبارة اتضحت عبارة مفسرنا النسفي كل الاتضاح، والله أعلم بالصواب وعليه اعتمادي. وهكذا دواليك في بقية الآيات .

ثانياً: يبدأ في كل سورة بذكر نوعها، وهل تعد مكية أم مدنية؟ وذلك كقوله في سورة سبأ: "سورة سبأ مكية ".

ثالثاً: يذكر عدد آيات السورة، مثلاً في عد أهل حمص، أو عند الباقين، كأهل الكوفة، ومكة، والمدينة، والبصرة، والشام، أو عند عطاء. كقوله في فاطر: " وآيها ست وأربعون في المدني الأخير والشامي، وخمس وأربعون آية في الباقين ".

رابعاً: بيان أوجه المناسبات بين السور أو الآيات. وذلك كقوله في فاطر: " والمناسبة على ما في البحر: أنه ﷻ لما ذكر في آخر السورة المتقدمة هلاك المشركين أعداء المؤمنين وإنزالهم منازل العذاب، تعين على المؤمنين حمده تعالى وشكره كما في قوله تعالى: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٥]، وينضم إلى ذلك تواخي السورتين في الافتتاح بالحمد وتقاربهما في المقدار وغير ذلك ".

خامساً: يسرد سبب نزول الآيات إن وجد، أو أسماء السورة، أو الأحاديث الواردة في فضلها. كقوله في بداية سورة سبأ: " وفي البحر أن سبب نزولها: أن أبا سفيان قال لكفار مكة لما سمعوا ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٧٣] كأن

محمداً يتوعدنا بالعذاب بعد أن نموت، ويخوفنا بالبعث، واللَّاتِ والعزى لا تأتينا الساعة أبداً ولا نبعث، فقال الله تعالى: قل يا محمد بلى وربي لتبعثن قاله مقاتل، وباقي السورة تهديد لهم وتخويف، ومن هذا ظهرت المناسبة بين هذه السورة والتي قبلها ".

وكقوله: " تفسير سورة فاطر، ويقال لها سورة الملائكة ".

سادساً: غالباً ما يفسر معاني الغريب من الألفاظ عند تفسير الآيات، أو ما ذكر في النص، وذلك مثل قول الزمخشري (٣/٣١١) : " ولباقة في التكلم " قال بصيلة: (أي حذاقة في التكلم).

وقوله في سبأ: " في المختار: المها بالفتح: جمع مهاة، وهي البقرة الوحشية، والجمع مهوات، والمهاة أيضاً البلورة ".

سابعاً: سرد أقوال المفسرين واختلافهم في معنى الآية، ويورد أحياناً الراجح منها.

ومثال ذلك في سورة سبأ: " ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ قال ابن عباس: هو الرجوع إلى الدنيا، وقال الحسن: هو الإيمان المقبول، وقال قتادة: طاعة الله تعالى، وقال السدي: التوبة، وقال مجاهد: الأهل والمال والولد، وقيل: أي حيل بين الجيش والمؤمنين بالخسف بالجيش أو بينهم وبين تخريب الكعبة، أو بينهم وبين النجاة من العذاب، أو بينهم وبين نعيم الدنيا ولذاتها، وروى ذلك عن مجاهد أيضاً ".

ثامناً: ذكر كل ما يتعلق بالآية من مسائل فقهية أو عقدية، ومذاهب العلماء في ذلك. ومثال ذلك في فاطر: " ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] واستدل بعض الناس بهذه الآية مع قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ

يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨] على أن في البهائم وسائر الحيوانات أنبياء أو علماء ينذرون، والاستدلال بذلك باطل لا يكاد يخفى بطلانه على أحد حتى على البهائم؛ ولم نسمع القول بنبوة فرد من البهائم ونحوها إلا عن الشيخ محيي الدين ومن تابعه قدس سره، ورأيت في بعض الكتب أن القول بذلك كفر والعياذ بالله ".

تاسعاً: ذكر القراءات المتواترة أو الشاذة الواردة في كل آية، ونسبتها لقارئها، مع توجيهها أحياناً. كقوله في فاطر: " ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ أي لا نبات بها، وقرأ نافع وحفص والكسائي بتشديد الياء، والباقون بالتخفيف ".

عاشراً: بيان الأوجه الإعرابية الواردة في الآيات. ومثاله في فاطر: " ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [فاطر: ٢٤] أي محقين على أنه حال من الفاعل، أو محقاً على أنه حال من المفعول، أو إرسالاً مصحوباً بالحق على أنه صفة لمصدر محذوف ".

الحادي عشر: يضع علامة من ثلاث نقاط تشبه علامة الوقف في المصحف هكذا (∴) وتعني النقطة أو الفاصلة أو قوسين أو نقطتين رئيسيتين أو علامة استفهام كعلامات الترقيم. كقوله في سبأ: " ثم قال في هذه السورة ∴ سبأ ∴ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [سبأ: ١] " وتعني هنا قوسين.

الثاني عشر: يوضح اسم السورة التي يقصدها المصنف في كلامه. ومثال ذلك قوله في سبأ: "﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ أي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة (وهي سبأ) ".

أما عن مصادر المؤلف في كتابه، فمن أهمها ما يلي:

١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (ت٦٨٥هـ).

٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري (ت٥٣٨هـ).

٣- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ).

٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي (ت ١٢٧٠هـ).

٥- مفاتيح الغيب، للفخر الرازي (ت٦٠٦هـ).

٦- تفسير السدي الكبير، لأبي محمد إسماعيل بن عبدالرحمن السدي الكبير (ت١٢٧هـ).

٧- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للخطيب الشربيني (ت٩٧٧هـ).

٨- عين المعاني في تفسير الكتاب العزيز والسبع المثاني، للسجاوندي (ت ٥٦٠هـ).

٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي (ت٥٤٢هـ).

١٠- عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، للخفاجي (ت١٠٦٩هـ).

١١- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين، ويُعرف بحاشية الجمل على الجلالين، لسليمان المشهور بالجمل (ت١٢٠٤هـ).

١٢- مجمع البحرين ومطلع البدرين على تفسير الجلالين، ويُعرف بحاشية الكرخي على الجلالين، لمحمد بن محمد الكرخي (ت١٠٠٦هـ)، وهو غير مطبوع.

١٣- فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل، ويُعرف بحاشية زكريا الأنصاري على تفسير البيضاوي، لأبي يحيى زكريا بن محمد بن أحمد السنيكي الأنصاري (ت٩٢٦هـ).
١٤- تفسير الجلالين، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت٨٦٤هـ)، وجلال الدين عبدالرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ).
١٥- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي (ت٩٨٢هـ).
١٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ).
١٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ).
١٨- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ت٧٧٤هـ).
١٩- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (ت٦٧١هـ).
٢٠- تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ).
٢١- الكشف والبيان، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي(ت٤٢٧هـ).
٢٢- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي (ت٨٧٥هـ).
٢٣- النكت والعيون، لعلي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي (ت٤٥٠هـ).
٢٤- معالم التنزيل، للحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (ت٥١٠هـ).
٢٥- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (ت٥٩٧هـ).
٢٦- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمُوش بن محمد القيسي (ت٤٣٧هـ).
٢٧- اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل النعماني (ت٧٧٥هـ).
٢٨- حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي (ت٩٥١هـ).

٢٩- لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (ت٧٤١هـ).
٣٠- الكشف على الكشاف، لعمر بن عبدالرحمن بن عمر الفارسي القزويني، وهو غير مطبوع.
٣١- تفسير القرآن، لمحمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت٣١٩هـ)، وهو لا يزال في عداد المفقودات، ولم يُعثر حتى الآن إلا على جزء يسير منه في مكتبة جوتا بألمانيا، قام بتحقيقها والتدقيق في إخراج نصوصها فضيلة الدكتور: سعد محمد السعد - حفظه الله - بدءاً من الآية (٢٧٢) من سورة البقرة إلى نهاية الآية (٩٢) من سورة النساء.
٣٢- مجمع البيان في تفسير القرآن، للفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (ت٥٤٨هـ).
٣٣- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ويُعرف بحاشية الطيبي على الكشاف، لشرف الدين الحسين بن عبدالله الطيبي (ت٧٤٣هـ).
٣٤- أسرار ترتيب القرآن، لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ).
٣٥- لطائف الإشارات، لأبي القاسم القشيري (ت٤٦٥هـ).
٣٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ).
٣٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ).
٣٨- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن النيسابوري (ت٨٥٠هـ).
٣٩- حاشية القونوي على تفسير البيضاوي (ت١١٩٥هـ).

المطلب الثالث: وصف نسخة المخطوط:

١- نسخة وحيدة بخط المؤلف، وبعض أجزائها بخط عبد العزيز محمد الصاوي، وكُتبت سنة ١٣٤١هـ، ومنها مصور بمركز البحوث وتحقيق التراث بمكة المكرمة.

٢- المخطوط مكتمل من سورة الفاتحة إلى سورة الناس وهو سليم فليس به مسح أو أكلة.

٣- غلاف الكتاب عليه نقش الأزهر.

٤- عدد الألواح: ٢٠٣٩,

٥- عدد لوحات الجزء الأول (٣٠٦) لوح، متوسط الأسطر في كل لوح من (٢٢) إلى (٢٥) سطر.

٦- وضعت فواصل وأقواس وكتبت الآيات وأسماء السور باللون الأحمر، وتحتوي على تعديلات وتعليقات في الهامش.

٧- الألواح مرقمة.

٨- أول صفحة من الكتاب كتب بأولها اسم الكتاب واسم مؤلفها وهي على النحو التالي: (الجزء الأول من الحاشية المسماة بالكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التأويل للعلامة النسفي، تأليف: الفقير إلى مولاه الجليل إبراهيم إبراهيم بصيلة).

وكتب في أسفل الصفحة: (قررت له فحص الكتب في ٨ ذي القعدة /١٤ يوليو ١٩٢٠م أنه كتاب نافع للأزهر والمعاهد الأخرى مستحق للجائزة المنصوص عليها في المادة (١٢٥) من القانون رقم (١٠) ١٩١١م، محضر رقم (٢٤) سكرتير اللجنة: حمد عبد القادر).

٩- يوجد للمخطوط نسخة واحدة فقط بالمكتبة الأزهرية بمصر مكونة من ستة أجزاء، ويوجد نسخة ميكروفلمية مصورة عن النسخة المحفوظة بالمكتبة الأزهرية كاملة بمركز البحث العلمي وإحياء التراث بمكة المكرمة.

۞ القسم الثاني: قسم التحقيق:

۞ ونزل كما قال ابن عباس في أبي جهل [١] ومشركي العرب ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨ ﴾ **[فاطر: ٨] إلى قوله تعالى:** ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ **الآية [فاطر:١١] [٢].**

بعد مراجعة كلام المفسرين [٤٩ / ب] في هذه الآيات، رأيت أحسن شيء يوضح المقام بسهولة، ويتمم مطالب مفسرنا النسفي هو تفسير الخطيب ونصه: ((ونزل كما قال ابن عباس في أبي جهل ومشركي العرب [٣] ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾ أي قبحه الذي من شأنه أن يسوء

---

(١) هو أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي. كان سيداً من سادات قريش، ومن أشد المعادين للنبي ﷺ. كنيته: أبو الحكم، وأبو جهل كنَّاه به النبي ﷺ؛ وذلك لطعنه امرأة عجوز بالحرباء حتى الموت بسبب جهرها بالإسلام وهي سمية بنت خياط I. مات مقتولاً على يد عبدالله بن مسعود رضي الله عنه بغزوة بدر سنة (٢هـ). حاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ج٤، (تركيا/ إستانبول: مكتبة إرسيكا، ٢٠١٠م)، ١٢٧. الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، (٨٧/٥). جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، ج٧، (دار الساقي، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م)، ١٠٥.

(٢) تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١١ ﴾ [فاطر: ٨- ١١].

(٣) روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: أنزلت هذه الآية: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ الآية، حيث قال النبي صلى الله علية وسلم: " اللهم أعزّ دينك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام "؛ فهدى الله عمر، وأضلّ أبا جهل؛ ففيهما أنزلت. ذكره السيوطي في "الباب النقول" (ص ١٨١)، ثم قال: وأخرج جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس به. وهو سندٌ ضعيف جداً؛ جويبر متروك الحديث، والضحاك لم يلق ابن عباس رضي الله عنه.

صاحبه حالاً أو مآلاً بأن غلب وهمه وهواه على عقله ﴿ فَرَءَاهُ ﴾ أي [السيء] [١] بسبب التزيين ﴿ حَسَنًا ﴾ أي عملاً صالحاً ﴿ فَإِنَّ ﴾ أي السبب في رؤية الأشياء على غير ماهي عليه ﴿ٱللَّهَ ﴾ أي الذي له الأمر كله ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾ فلا يرى شيئاً على ما هو به، فيقدم على الهلاك البين وهو يراه عين النجاة ﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ فلا يشكل عليه أمر، ولا يفعل إلا حسناً.

تنبيه: (من) موصولة مبتدأ، وما بعده [صلته] [٢] ، والخبر محذوف، واختلف في تقديره: فقدّره الكسائي[٣] ، ﴿تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ﴾ لدلالة قوله تعالى تسلية لرسوله ﷺ حيث حزن على إصرارهم بعد إتيانه بكل آية ظاهرة وحجة قاهرة ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي المزين لهم ﴿حَسَرَٰتٍ ﴾ أي لأجل حسراتك المترادفة لأجل إعراضهم، جمع حسرة وهي شدة الحزن على ما فات من الأمر[٤] ، وقدَّره الزجاج: وأضلّه الله كمن هداه[٥]، وقدّره غيرهما: كمن [لم] [٦] يزين له، وهو أحسن لمرافقته لفظاً

(١) ما بين المعقوفتين في الأصل (الشيء) وهو خطأ؛ والصواب ما أثبته كما في السراج المنير للخطيب الشربيني (٣/٣١٣).
(٢) ما بين المعقوفتين في الأصل (صلة)، والصواب ما أثبته كما من السراج المنير للخطيب الشربيني (٣/٣١٤).
(٣) «من» في موضع رفع بالابتداء، وخبره محذوف لما دلّ عليه. قال الكسائي: والذي دلّ عليه: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ﴾ والمعنى: أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسناً ذهبت نفسك عليهم حسرات، قال: وهذا كلام عربي حسن ظريف لا يعرفه إلا قليل. والذي قاله الكسائي أحسن ما قيل في الآية؛ لما ذكره من الدلالة على المحذوف، والمعنى: أنّ الله جل وعز نهى النبي ﷺ عن شدة الاغتمام بهم والحزن عليهم كما قال جل وعز: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ [الشعراء: ٣] قال أهل التفسير: أي: قاتل نفسك. ينظر: النحاس، إعراب القرآن، مرجع سابق، (٣/ ٢٤٦).
(٤) ينظر: أبو البقاء الكفوي، الكليات، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د: ت)، ٣٥٩. أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، (١/٤٩٣).
(٥) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، مرجع سابق، (٤/٢٦٤).
(٦) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبته من السراج المنير للخطيب الشربيني (٣/٣١٤).

ومعنى، ونظيره ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [محمد: ١٤] أي كمن هو أعمى ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد: ١٩] (٦)، وقال سعيد بن جبير: نزلت هذه الآية في أصحاب الأهواء والبدع (٧)، قال قتادة: منهم الخوارج (٨) الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم، فأمَّا أهل الكتاب فليسوا منهم لأنهم لا يستحلون الكبائر (١) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ [٥٠/ أ] أي محيط بجميع صفات الكمال ﴿عَلِيمٌۢ﴾ أي بالغ العلم ﴿بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم [عليه] (٢)، ثم عاد تعالى إلى البيان بقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ﴾ [فاطر: ٩] أي الذي له صفات الكمال لا شيء غيره من طبيعة ولا غيرها ﴿ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ

(١) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، (١٤/٩). ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق، (١٠٤/١٦). الخطيب الشربيني، السراج المنير، مرجع سابق، (٣١٤/٣). الخفاجي، عناية الراضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، مرجع سابق، (٢١٦/٧). الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، (٣٨٩/٤).

(٢) البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، (٦٨٨/٣). الخازن، لباب التأويل، مرجع سابق، (٤٥٣/٣). ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق، (١٠٥/١٦). الخطيب الشربيني، السراج المنير، مرجع سابق، (٣١٤/٣).

(٣) الخوارج: هم فرقة كلامية ادعت ارتباطها بالإسلام. ظهرت في أواخر خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبداية خلافة علي رضي الله عنه. وسمُّوا بالخوارج؛ لأنهم خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد معركة صفين سنة (٣٧هـ)، ولم يرجعوا معه إلى الكوفة واعتزلوا صفوفه. ولهم ألقاب غيرها كالحرورية، والشراة، والمارقة، والمحكمة. وارتبطت معتقداتهم بالمغالاة والتكفير والتطرف، ومن أهمها: تكفير أصحاب الكبائر، ويقولون بتخليدهم في النار، ويكفرون بعض الصحابة كعثمان وعلي وطلحة والزبير وعائشة Φ، ويقولون بالخروج على الحكام الظالمين والفاسقين. وهم فرق شتى. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، مرجع سابق، (١١٤/١). ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، (القاهرة: مكتبة الخانجي، د: ت)، (١٤٤/٤).

(٤) ينظر: البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، (٦٨٨/٣). الخازن، لباب التأويل، مرجع سابق، (٤٥٣/٣). ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق، (١٠٥/١٦). الخطيب الشربيني، السراج المنير، مرجع سابق، (٣١٤/٣).

وقال الألوسي في روح المعاني (٣٤٣/١١): " وفي الآيات على ما يقتضيه ظاهر كلام الزمخشري لف ونشر، وبذلك صرَّح الطيبي، ثم قال: الأحسن أن تجعل الآيات من الجمع والتقسيم والتفريق، فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [فاطر: ٥] جمع الفريقين معاً في حكم نداء الناس، وجمع ما لهما من الثواب والعقاب في حكم الوعد، وحذرهما معاً عن الغرور بالدنيا والشيطان، وأما التقسيم فهو قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [فاطر: ٧]، وأما التفريق فقوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ لأنه فرق فيه، وبيَّن التفاوت بين الفريقين كما قال الزمخشري: أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له".

(٥) في الأصل (عليهم)، وما أثبته هو الصواب كما في السراج المنير للخطيب الشربيني (٣١٤/٣).

ٱلرِّيَٰحَ﴾ أي أوجدها من العدم، فهبوبها دليل على الفاعل المختار؛ لأن الهواء قد يسكن وقد يتحرك، وعند حركته قد يتحرك إلى اليمين وقد يتحرك إلى الشمال، وفي حركاته المختلفة قد ينشئ السحاب وقد لا ينشئ، فهذه الاختلافات دليل على مسخر مدبر مؤثر مقدر، وقوله تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ عطف على ﴿أَرْسَلَ﴾ لأن ﴿أَرْسَلَ﴾ بمعنى المستقبل فلذلك عطف عليه، وأتى بـ (أرسل) لتحقق وقوعه، و بـ (تثير) لتصور الحال واستحضار الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة كقوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣] (٣) ولما أسند فعل الإرسال إليه تعالى وما يفعله يكون بقوله تعالى كن فلا يبقى في العدم لا زماناً ولا جزءاً من الزمان، فلم يقل بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة تكوينه فكأنه كان، ولأنه فرغ من كل شيء فهو قدر الإرسال في الأوقات المعلومة إلى المواضع المعينة، ولما أسند فعل الإثارة إلى الريح وهي تؤلف في زمان فقال: (تثير) أي على هيئتها، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالتوحيد، والباقون بالجمع (١)، وقوله تعالى: ﴿فَسُقْنَٰهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة (٢)

(١) قال الزمخشري: " فإن قلت: لم جاء ﴿فَتُثِيرُ﴾ على المضارعة دون ما قبله، وما بعده؟ قلت: ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، وتستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية، بحال تستغرب، أوتهمّ المخاطب، أو غير ذلك ". الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، (٦٠١/٣).

(٢) القراءات الواردة في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ :
- القراءة الأولى: {الرياح}: بالتوحيد أي الإفراد. قرأ بها ابن كثير، وحمزة، والكسائي، وخلف.
- القراءة الثانية: قرأ الباقون: بالجمع. وهم: نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وأبو جعفر، ويعقوب.

ورجح الفيروزآبادي: قراءة الجمع.
ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، مرجع سابق، (٢٤٩/٢). الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج٣، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، د: ت)، ١٠٧. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، مرجع سابق، (٢٢٣/٢). شهاب الدين البناء، إتحاف الفضلاء، مرجع سابق، (١٩٦/١).

(٣) أي الالتفات من الغيبة إلى التكلم. قال الزمخشري: " وفائدة الالتفات في هذه الآية، وأمثالها، التنبيه على التخصيص بالقدرة، وأنه لا يدخل تحت قدرة أحد ". الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، (٦٠١/٣). السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج٣، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م)، ٢٩٢.

﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾[١] أي لا نبات بها، وقرأ نافع وحفص والكسائي بتشديد الياء، والباقون بالتخفيف، ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ أي بالمطر النازل [٥٠/ ب] منه، وذكر السحاب كذكر المطر حيث أقيم مقامه أو بالسحاب فإنه سبب السبب أو الصائر مطراً ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات والكلأ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي يبسها[٢]

تنبيه: العدول في (سقنا) و(أحيينا) من الغيبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ إلى ما هو أدخل في الاختصاص وهو التكلم فيها لما فيهما من مزيد الصنع، والكاف في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في محل رفع، أي مثل إحياء الموات[٣] ﴿ ٱلنُّشُورُ﴾ للأموات، وجه الشبه من وجوه:

أولها: أن الأرض الميتة قبلت الحياة، كذلك الأعضاء تقبل الحياة .

ثانيها: كما أن الريح يجمع السحاب المقطع، كذلك تجمع الأعضاء المتفرقة.

ثالثها: كما [أنَّا] [٤] نسوق الريح والسحاب إلى البلد الميت، كذلك نسوق الروح إلى الجسد الميت [٥] .

---

(١) القراءات الواردة في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ مَّيِّتٍ﴾ :

- القراءة الأولى: بتشديد الياء. قرأ بها نافع، وحفص، وحمزة، والكسائي، وخلف العاشر، وأبو جعفر. ووجه من شدد الميتة والميت في الباب كله: مجيئه على الأصل؛ وقد اختلف في أصله، فعند سيبويه الأصل ميوتة وميوت انقلبت الواو ياء مثل هين ولين.
- القراءة الثانية: بتخفيفها. قرأ بها الباقون وهم: شعبة، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر. ووجه من خفف: إرادة التخفيف على وزن فيعلة وفيعل سبقت الياء بالسكون فقلبت.

ينظر: سراج الدين النشار، المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر، مرجع سابق، (٣٣٧/١). ابن الجزري، شرح طيبة النشر، مرجع سابق، (١٩٠/١). عبدالفتاح القاضي، الوافي في شرح الشاطبية، ط٤، ج١، (مكتبة السوادي، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م)، ٢٣٢.

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، (٢٥٥/٤). الخطيب الشربيني، السراج المنير، مرجع سابق، (٣١٤/٣).

(٣) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، (٦٠١/٣). الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، مرجع سابق، (٦١٣/١٢). الخطيب الشربيني، السراج المنير، مرجع سابق، (٣١٥/٣).

(٤)ما بين المعقوفتين في الأصل (أن)، والصواب ما أثبته كما في السراج المنير للخطيب البغدادي (٣١٥/٣).

(٥)الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، (٢٢٥/٢٦). الخطيب الشربيني، السراج المنير، مرجع سابق، (٣١٤/٣).

فإن قيل: ما الحكمة في اختيار هذه الآية من بين الآيات مع أن الله تعالى له في كل شيء آية تدل على أنه واحد ؟

أجيب: بأنه تعالى لما ذكر (أنه) [١] فاطر السموات والأرض، وذكر من الأمور السماوية الأرواح وإرسالها بقوله تعالى: ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ [فاطر: ١]، ذكر من الأمور الأرضية ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾، ورُوي أنَّه قيل لرسول الله ﷺ: كيف يحيي الله الموتى، وما آية ذلك في خلقه؟ فقال: هل مررت بواد أُهلك محلاً، ثم مررت به يهتز؟

فقال: نعم، فقال: كذلك يحيى الله الموتى، وتلك آيته في خلقه[٢]، وقيل: يحيى الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمني الرجال تنبت منه [أجساد][٣] الخلق[٤] .

ولما كان الكافرون يتعززون بالأصنام كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴾ [مريم: ٨١]، والذين آمنوا بألسنتهم غير مواطأة قلوبهم، كانوا [٥١ / أ] يتعززون بالمشركين كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩] بيَّن تعالى ألاَّ عِزَّة إلا لله بقوله

(١) في السراج المنير للخطيب الشربيني (٣١٥/٣): (كونه).
(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١١). والطبراني فى المعجم الكبير، ح ٤٧٠، (١٩/ ٢٠٨) . والطيالسي في المسند، ح ١٠٨٩، (ص ١٤٧). كلهم بسندهم عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه مختصراً.
الحكم على الحديث:
- قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٨٥) : رجاله موثقون.
- وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (١٤٦/٨): سنده صحيح.
- وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢٨٤/١): حسن.

(٣) ما بين المعقوفتين في الأصل (إحياء) وهو خطأ؛ والصواب ما أثبته كما في السراج المنير للخطيب الشربيني (٣١٥/٣).
(٤) قاله ابن مسعود رضي الله عنه. ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، مرجع سابق، (١٠١/٣). الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، (٦٠٢/٣). ابن الجوزي، زاد المسير، مرجع سابق، (٥٠٧/٣). الخطيب الشربيني، السراج المنير، مرجع سابق، (٣١٥/٣).

سبحانه (وتعالى) [١]: ﴿ مَن كَانَ ﴾ [فاطر: ١٠] أي في وقت من الأوقات ﴿ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ ﴾ والشرف والمنعة ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ﴾ أي في الدنيا والآخرة، والمعنى: فليطلبها عند الله فوضع قوله تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ﴾ موضعه استغناء به عنه [لدلالته][٢] عليه؛ لأن الشيء لا يطلب إلا من عند صاحبه ومالكه، ونظيره قولك: من أراد النصيحة فهي عند الأبرار، يريد: فليطلبها عندهم إلا أنك أقمت ما يدل عليه مقامه، وقال قتادة: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ ﴾ فليعتزز بطاعة الله تعالى [٣]، ومعناه الدعاء إلى طاعة من له العزة، أي فليطلب العزة من عند الله بطاعته، كما يقال: من كان يريد المال فالمال لفلان، أي: فليطلبه من عنده، ثم عرف أن ما تطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله تعالى: ﴿ إِلَيۡهِ ﴾ أي لا [إلى] [٤] غيره ﴿ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [٥] قال المفسرون: هو قول لا إله إلا الله والله أكبر [٦]، وعن ابن مسعود قال: (إذا حدثتكم حديثاً أنبأتكم [بمصداقه][٧] من كتاب الله ﷻ، ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وتبارك الله، إلا أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه، ثم صعد بهن،

(١) زيادة من أصل المؤلف.
(٢) ما بين المعقوفتين في الأصل (لدلالة)، والصواب ما أثبته كما في السراج المنير للخطيب الشربيني (٣١٥/٣).
(٣) الماوردي، النكت والعيون، مرجع سابق، (٤٦٤/٤). الخطيب الشربيني، السراج المنير، مرجع سابق، (٣١٥/٣).
(٤) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبته من السراج المنير للخطيب الشربيني (٣١٥/٣).
(٥) خلاصة الأقوال في معنى ﴿ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾:
الأول: أنه لا إله إلا الله. والآخر: أنه القرآن، ذكره شهر بن حوشب. والثالث: أنه ذكر الله. والرابع: الكلم الطيب هو الدعاء من العباد. والراجح منها والله أعلم: جمعها؛ فهي من باب تفسير التنوع لا التضاد، ولقاعدة: " إذا احتمل اللفظ معاني عدة، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها ". ينظر: تفسير السمعاني، مرجع سابق، (٤/ ٣٤٨). خالد السبت، قواعد التفسير، مرجع سابق، (٣٧٧/٢).
(٦) منهم: الثعلبي، الكشف والبيان، مرجع سابق، (١٠١/٨). والبغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، (٦٨٩/٣).
(٧) ما بين المعقوفتين في الأصل (بمصادقه) وهو خطأ؛ وما أثبته هو الصواب كما في السراج المنير للخطيب الشربيني (٣١٥/٣).

فلا يمر على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيى بها وجه رب العالمين) [١]، و[مصداقه] [٢] من كتاب الله ﷻ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [٥١ / ب] أي يقبل [الله] [٣] الكلم الطيب [٤]، وقيل: الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن [٥]، وعن الحاكم [٦] موقوفاً، وعن [الثعلبي] [٧] مرفوعاً، أنه ﷺ قال: (هو سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، إذا [قالها] [٨] العبد [عرج] [٩] بها [الملك] [١٠] إلى

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ٩١٤٤، (٢٣٣/٩)، من طريق أبو نعيم الفضل بن دكين. والحاكم في المستدرك، ٣٥٨٩، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الملائكة، ٤٦١/٢، من طريق إسحاق بن سليمان. وكلاهما - الفضل بن دكين، وإسحاق - عن المسعودي بنحوه، وليس فيه قوله: "خمس كلمات".
الحكم:
- قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٣/١٠): فيه المسعودي وهو ثقة ولكنه اختلط وبقية رجاله ثقات.
- وهو موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه وإسناده ضعيف؛ فيه عبد الله بن المخارق بحاجه إلى متابعة، والحجاج بن نصر لم أقف على ترجمته ولم يُذكر فيمن رووا عن المسعودي، وشيخه المسعودي اختلط بآخره ولم يتبين حال رواية الحجاج عنه، وقد تابعه أبو نعيم (الفضل بن دكين) وروايته عنه مستقيمة، ولكن تبقى علة الحديث في عبد الله بن المخارق فهو في عداد المجهولين.

(٢) ما بين المعقوفتين في الأصل (مصادقه) وهو خطأ؛ وما أثبته هو الصواب كما في السراج المنير للخطيب الشربيني (٣١٥/٣).

(٣) سقط من الأصل، وأثبته من السراج المنير للخطيب الشربيني (٣١٥/٣).

(٤) البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، (٦/ ٤١٥). الخطيب الشربيني، السراج المنير، مرجع سابق، (٣١٥/٣).

(٥) نقله: البيضاوي في أنوار التنزيل، مرجع سابق، (٢٥٥/٤). الخطيب الشربيني، السراج المنير، مرجع سابق، (٣١٥/٣).

(٦) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن نعيم الحاكم النيسابوري. من كبار المحدثين. اشتهر بكتابه (المستدرك على الصحيحين). ولُقب بالحاكم لتوليه القضاء مرة بعد مرة، ثم اعتزل منصبه ليتفرغ للعلم والتصنيف. وعُرف عنه - رحمه الله - التساهل في التصحيح للأحاديث؛ لذلك لزم تعقب كتابه، وتساهله هذا كان مُركزاً في الثلث الأخير منه؛ وذلك لأنه توفي قبل أن يراجعه. توفي سنة (٤٠٥هـ). ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (١٠٤/١٣). الذهبي، ميزان الاعتدال، مرجع سابق، (٦٠٨/٣). ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، مرجع سابق، (٥٥٠/٧).

(٧) ما بين المعقوفتين في الأصل (الثعلب) وهو خطأ؛ والصواب ما أثبته كما في السراج المنير للخطيب الشربيني (٣١٥/٣).
والثعلبي هو: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي. ويلقب أيضاً بـ: الثعالبي. عالم في التفسير. من مؤلفاته: (عرائس المجالس) في قصص الأنبياء، و(الكشف والبيان عن تفسير القرآن) في التفسير. توفي سنة (٤٢٧هـ). ينظر: الأدنه وي، طبقات المفسرين، مرجع سابق، (ص١٠٦). الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٤٣٦/١٧). ابن خلكان، وفيات الأعيان، مرجع سابق، (٧٩/١).

(٨) ما بين المعقوفتين في الأصل (قال)؛ والصواب ما أثبته كما في السراج المنير للخطيب الشربيني (٣١٥/٣).

(٩) ما بين المعقوفتين في الأصل (مُرج) وهو خطأ؛ والصواب ما أثبته كما في السراج المنير للخطيب الشربيني (٣١٥/٣).

(١٠) سقط من الأصل، وأثبته من السراج المنير للخطيب الشربيني (٣١٥/٣).

السماء فحيا بها وجه الرحمن، فإذا لم يكن عمل صالح لم تقبل) [١] ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ أي يقبله فصعود الكلم الطيب والعمل الصالح مجاز عن قبوله تعالى إياهما، أو صعود الكتبة بصحفهما، والمستكن في يرفعه لله تعالى، وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة، وقال سفيان بن عيينة [٢]: العمل الصالح هو الخالص، يعني الإخلاص سبب قبول الخيرات من الأقوال والأفعال لقوله تعالى: ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠] فجعل نقيض الصالح الشرك والرياء [٣].

تنبيه: صعود الكلم الطيب مجاز عن [قبوله] [٤] تعالى إياهما، أو صعوبة الكتبة بصحفهما، والمستكن في يرفعه لله تعالى، وتخصيص هذا العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة أو للكلم، فإن العمل لا يقبل إلا بالتوحيد أو للعمل فإنه يحقق الإيمان ويقويه، قال الرازي في اللوامع: " العلم لا يتم إلا بالعمل، كما قيل: العلم يهتف بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل [٥] وقد قيل:

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، ح٣٥٨٩، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الملائكة، ٤٦١/٢. والبيهقي في كتاب الأسماء والصفات، ح٦٦٧، باب ما جاء في إثبات الوجه صفة لا من حيث الصورة ١٠٤/٢. وأورده الثعلبي في تفسيره (١٠١/٨): من رواية علي بن عاصم، عن سُهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه مرفوعاً. والطبري في تفسيره (٤٤٥/٢٠). كلهم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه بنحوه موقوفاً.
الحكم على الحديث:
قال الحاكم في المستدرك (٤٦١/٢): " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح ".

(٢) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي. كان - رحمه الله - إماماً محدثاً، ثقة حجة، وإليه انتهى علو الإسناد. تعلم على يد شعبة بن الحجاج، والأعمش، والزهري، والثوري. ومن تلامذته: أحمد بن حنبل، والشافعي، وابن معين. توفي سنة (١٩٨هـ). ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٤٥٤/٨). السيوطي، طبقات الحفاظ، مرجع سابق، (ص١١٩). ابن خلكان، وفيات الأعيان، مرجع سابق، (٣٩١/٢). حاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مرجع سابق، (١٣٥/٢). الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، (١٠٥/٣).

(٣) ينظر: الثعلبي، الكشف والبيان، مرجع سابق، (١٠٢/٨). البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، (٦٩٠/٣). ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق، (١١٢/١٦). الخطيب الشربيني، السراج المنير، مرجع سابق، (٣١٥/٣).

(٤) ما بين المعقوفتين في الأصل (قبولها)، والصواب ما أثبته كما في السراج المنير للخطيب الشربيني (٣١٥/٣).

(٥) بالرجوع إلى كتاب لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات للفخر الرازي لم أقف على هذا القول، وهو في الأصل قول مشهورٌ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذكره صاحب نهج البلاغة الشريف الرضي (٨٥/٤). وانظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مرجع سابق، (١٩/١٦). والخطيب الشربيني، السراج المنير، مرجع سابق، (٣١٦/٣).

لا ترضَ من رجل حلاوة قوله حتى يصدق ما يقول فعاله

فـإذا وزنـت مقالـه بفعالـه فتوازناً فإخاء ذاك جماله (١).

وقال الحسن: الكلم الطيب ذكر الله تعالى، والعمل الصالح أداء فرائضه، [٥٢ / أ] فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله، وليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، فمن قال حسناً وعمل غير صالح رد الله تعالى عليه قوله، ومن قال حسناً وعمل صالحاً رفعه الله (٢).

ولما بيَّن ما يحصل العزة من عَلِيّ الهمة، بيَّن ما يكسب المذلة ويوجب النقمة من رديء الهمة بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ﴾ أي يعملون على وجه المكر أي [الستر] (٣)، المكرات: ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي مكرات قريش بالنبي ﷺ في دار الندوة (٤) وتداورهم الرأي في إحدى ثلاث: حبسه وقتله وإجلاؤه كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ﴾ الآية [الأنفال: ٣٠] (٥)، وقال الكلبي: معناه يعملون السيئات (٦)،

(١) البيتين من بحر الكامل، قائلها: هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي. ينظر: ابن هذيل الأندلسي، عين الأدب والسياسة في زين الحسب والرياسة، ط٢، (بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية)، ١٤١.

(٢) الثعلبي، الكشف والبيان، مرجع سابق، (١٠١/٨). البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، (٦٩٠/٣).

(٣) ما بين المعقوفتين في الأصل (السيء)، والصواب ما أثبته كما في السراج المنير للخطيب الشربيني (٣١٦/٣).

(٤) دار الندوة: هو نادي قديم يقع في بطن مكة من الجهة الغربية من الكعبة. أسسه قصي بن كلاب الجد الخامس للرسول ﷺ. كان يجتمع فيه حكماء مكة من جميع القبائل القاطنة للتشاور والتحاور وإبداء الرأي. كما كان نقطة انطلاق القوافل التجارية، وكانت فيه ترفع راية الحرب وتنطلق الجيوش، ويتم الإعلان عن الزواج وختان الذكور. إلى أن جاء الإسلام وتم فتح مكة انتهت مراسم دار الندوة ولم يعد لها ذكر إلى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث أصبحت مقراً له عند زيارته لمكة المكرمة وللخلفاء من بعده. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، (٤٢٣/٢). عاتق الحربي، معالم مكة التاريخية والأثرية، ج١، (دار مكة للنشر والتوزيع، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م)، ٣٠٣.

(٥) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، (٦٠٣/٣). البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، (٢٥٥/٤). أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، (١٩/٩). الخطيب الشربيني، السراج المنير، مرجع سابق، (٣١٦/٣). أبو السعود، إرشاد العقل السليم، مرجع سابق، (١٤٦/٧).

(٦) نقله الخطيب الشربيني في السراج المنير، مرجع سابق، (٣١٦/٣).

وقال مقاتل: يعني الشرك [١]، وقال مجاهد: (هم) [٢] أصحاب الرياء [٣] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي لا توبة (دونهم) [٤] بما يمكرون ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي البعداء من الفلاح ﴿هُوَ﴾ أي وحده دون مكر من يريد بمكره الخير فإن الله ينفذه ويعلي أمره ﴿يَبُورُ﴾ أي يفسد ولا ينفذ إذ الأمور مقدرة فلا تتغير بسبب مكرهم)) [٥] انتهى والله أعلم بالصواب وعليه اعتمادي.

۞ قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١] إلى قوله تعالى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [فاطر: ١٣] إلى آخر الآية [٦].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، مرجع سابق، (٥٥٣/٣). الخطيب الشربيني، السراج المنير، مرجع سابق، (٣١٦/٣).
(٢) ما بين القوسين أضافه إلى الحاشية اليسرى، وصحح على ذلك.
(٣) الثعلبي، الكشف والبيان، مرجع سابق، (١٠٢/٨). البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، (٦٩٠/٣). القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، (٣٣٢/١٤). السيوطي، الدر المنثور، مرجع سابق، (١٠/٧). الخطيب الشربيني، السراج المنير، مرجع سابق، (٣١٦/٣). وكل المعاني المذكورة في معنى السيئات: تقتضي الجمع بينها؛ لأنها بمعنى واحد، وهي من باب تفسير التنوع لا التضاد، ولقاعدة: " إذا احتمل اللفظ معاني عدة، ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها ". وقد رجَّح ابن كثير- رحمه الله - (٣١١/١١) مستنداً إلى دلالة العموم شمول معنى الآية فقال: " والصحيح أنها عامة، والمشركون داخلون بطريق الأولى ". وانظر: خالد السبت، قواعد التفسير، مرجع سابق، (٣٧٧/٢).
(٤) في السراج المنير للخطيب الشربيني (٣١٦/٣): (دونه).
(٥) الخطيب الشربيني، السراج المنير، مرجع سابق، (٣١٤/٣).
(٦) تفسير قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر: ١١- ١٣].

أحسن ما يكتب على هذه الآيات مع الاختصار والبلاغة [٥٢ / ب] التامة عبارة الفخر الرازي، وبها يتم ما ذكره مفسرنا النسفي ونصها: ((قد ذكرنا مراراً أن الدلائل مع كثرتها وعدم دخولها في عدد محصور منحصرة في قسمين: دلائل الآفاق، ودلائل الأنفس، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] فلما ذكر دلائل الآفاق من السموات، وما يرسل منها من الملائكة والأرض، وما يرسل فيها من الرياح، شرع في دلائل الأنفس، وقد ذكرنا تفسيره مراراً، وذكرنا ما قيل من أن قوله: ﴿ مِّن تُرَابٍ ﴾ إشارة إلى خلق آدم ﴿ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ إشارة إلى خلق أولاده، وبيّنا أن الكلام غير محتاج إلى هذا التأويل، بل خلقكم خطاب مع الناس وهم أولاد آدم كلهم من تراب ومن نطفة؛ لأن كلهم من نطفة، والنطفة من غذاء، والغذاء بالآخرة ينتهي إلى الماء والتراب، فهو من تراب صار نطفة، وقوله: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ ﴾ إشارة إلى كمال العلم، فإن ما في الأرحام قبل الإنخلاق بل بعد ما دام في البطن لا يعلم حاله أحد كيف والأم الحاملة لا تعلم منه شيئاً، فلما ذكر بقوله: ﴿ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ كمال قدرته بيَّن بقوله: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ كمال علمه، ثم بيَّن نفوذ إرادته بقوله: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ فبيّن أنه هو القادر العالم المريد، والأصنام لا قدرة لها ولا علم ولا إرادة فكيف يستحق شيء منها العبادة [٥٣ / أ]، وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي الخلق من التراب [(١)]، ويحتمل أن يكون المراد

(١) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، (٢٢٧/٢٦). ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق، (١١٥/١٦).

التعمير والنقصان على الله يسير [١]، (ويحتمل أن يكون المراد أن العلم بما تحمله الأنثى يسير والكل على الله يسير) [٢]، والأول أشبه؛ فإن اليسير استعماله في الفعل أليق [٣].

ثم قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [فاطر:١٢] .

قال أكثر المفسرين: أن المراد من الآية ضرب المثل في حق الكفر والإيمان أو الكافر والمؤمن، فالإيمان لا يشتبه بالكفر في الحسن والنفع، كما لا يشتبه البحران العذب الفرات والملح الأجاج [٤]، ثم على هذا فقوله: ﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ لبيان أن حال الكافر والمؤمن أو الكفر والإيمان دون حال البحرين، لأن الأجاج يشارك الفرات في خير

(١) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، (٢٢٧/٢٦). ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق، (١١٥/١٦).

(٢) ما بين القوسين أضافه إلى الحاشية اليسرى، وصحح على ذلك. ينظر: الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، (٢٢٧/٢٦). ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق، (١١٥/١٦).

(٣) الراجح في معنى قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: الاحتمالات الثلاث كلها واردة؛ لأن الخلق، والتعمير، ونقصان العمر، والعلم بما تحمله الأرحام، كلها يسيرة وبيده سبحانه، وهذا ما يقتضيه المعنى من السياق والله أعلم وأحكم. قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - في تفسيره (ص١٠١): " ﴿ذَٰلِكَ﴾ المشار إليه: كل ما سبق، الزيادة في العمر، والنقص، والكتابة، كله يسيرٌ على الله؛ أي: هيّنٌ عليه، وإن كان عند المخلوقين صعباً وعسيراً، لكنه عند الله سهلٌ ويسيرٌ؛ لأنه ﷻ إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون ".

(٤) ينظر: الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، (٦٠٤/٣). الفخر الرازي في مفاتيح الغيب، مرجع سابق، (٢٧٧/٢٦). البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، (٢٥٦/٤). ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، مرجع سابق، (١٧٣/٢). أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، (٢١/٩). ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق، (١١٥/١٦). النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، مرجع سابق، (٥١٠/٥). الخطيب الشربيني، السراج المنير، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، (٣١٨/٣). أبو السعود، إرشاد العقل السليم، مرجع سابق، (١٤٧/٧). الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي، مرجع سابق، (٢٤٦/١). الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، (٣٩٣/٤). الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، (٣٥٢/١١). ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، (٢٧٩/٢٢).

ونفع إذ اللحم الطري يوجد فيهما، والحلية توجد منهما، والفلك تجري فيهما، ولا نفع في الكفر والكافر، وهذا على نسق قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقوله: ﴿كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةًۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُۚ﴾ [البقرة: ٧٤]، الأظهر أن المراد منه ذكر دليل آخر على قدرة الله، وذلك من حيث أن البحرين يستويان في الصورة ويختلفان في الماء، فإن أحدهما عذب فرات والآخر ملح أجاج، ولو كان ذلك بإيجاب لما اختلف المتساويان، ثم إنهما بعد اختلافهما يوجد منهما أمور متشابهة، فإن اللحم الطري يوجد [فيهما] [(١)]، والحلية تؤخذ منهما، [٥٣/ ب] ومن يوجد في المتشابهين اختلافاً ومن المختلفين اشتباهاً لا يكون إلا قادراً مختاراً، وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ﴾ إشارة إلى أن عدم استوائهما دليل على كمال قدرته ونفوذ إرادته، وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: قال أهل اللغة: لا يقال في ماء البحر إذا كان فيه ملوحة (مالح) وإنما يقال له (ملح) [(٢)]، وقد يذكر في بعض كتب الفقه يصير بها ماء البحر مالحاً ويؤاخذ قائله به وهو أصح مما يذهب إليه القوم؛ وذلك لأن الماء العذب إذا ألقي فيه ملح حتى ملح لا يقال له إلا مالح، وماء ملح يقال للماء الذي صار من أصل خلقته كذلك؛ لأن المالح شيء فيه ملح ظاهر في الذوق، والماء الملح ليس ماء وملحاً بخلاف الطعام المالح، فالماء العذب الملقى فيه الملح ماء فيه ملح ظاهر في الذوق بخلاف ما هو من أصل خلقته كذلك، فلما قال الفقيه الملح أجزاءً أرضية سبخة

(١) ما بين المعقوفتين في الأصل (فيه ماء)، والصواب ما أثبته كما في مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٢٢٨/٢٦).

(٢) ينظر: ابن السكيت، إصلاح المنطق، مرجع سابق، (٢٠٦/١). الخليل الفراهيدي، العين، ج٣، (دار ومكتبة الهلال، د:ت)، ٢٤٣. الهروي، تهذيب اللغة، مرجع سابق، (٦٤/٥).

يصير بها ماء البحر مالحاً راع فيه الأصل فإنه جعله ماء جاوره ملح، وأهل اللغة حيث قالوا في البحر ماؤه ملح جعلوه كذلك من أصل الخلقة والأجاج المر [١]، وقوله: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ من الطير والسمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ من اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ أي ماخرات تمخر البحر بالجريان أي تشق، وقوله: و﴿لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يدل على ما ذكرناه من أن المراد من الآية الاستدلال بالبحرين وما فيهما على وجود الله ووحدانيته وكمال قدرته [٥٤ / أ])) [٢] **انتهى بحروفه والله أعلم بالصواب وعليه اعتمادي.**

(١) ينظر: الماوردي، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، ج١، (بيروت/ لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م)، ٣٩. النووي، المجموع شرح المهذب، ج١، (دار الفكر، د:ت)، ٨٦. الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، مرجع سابق، (١١٧/١).

(٢) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، (٢٢٧/٢٦). ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق، (١١٧/١٦).

الخاتمة

الحمد لله الملك الديان، ذو الفضل والإنعام، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وخليله على وحيه، وصفوته من خلقه، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً .. أما بعد:

فأحمده سبحانه على ما أتمَّ عليّ من توفيق وتيسير، وما منَّ به من تسهيل وتسخير لإتمام هذا البحث فله الشكر والمنَّة، فما كان من صواب فمنه وحده، وما كان من تقصير وخطأ فأسأل الله له العفو والغفران، **وختاماً لا يسعني إلا أن أذكر ما توصلت إليه من نتائج، ومنها:**

أولاً: مكانة الإمام النسفي – رحمه الله تعالى – حيث يُعد من أجل المفسرين الذين عنوا بدراسة علم التفسير وألفوا فيه، فأخرجوه في أجمل حلة.

ثانياً: شهرة تفسيره (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) وما ناله من عناية في التخريج والشرح والتدريس والتلخيص، فهو من أجل كتب تفسير القرآن الكريم قدراً وأعظمها شأناً.

ثالثاً: أن العلامة إبراهيم بصيلة – **رحمه الله** – يُعد من جُلة العلماء الأفاضل الذين سخروا جل أوقاتهم وأفنوا أعمارهم في سبيل العلم وخدمة أهله.

رابعاً: تُعد حاشية (الكنز الجليل على مدارك التنزيل وحقائق التزويل) من أهم الشروح وآخرها لتفسير الإمام النسفي – رحمه الله تعالى – حيث اعتنى صاحبها وتميز بحرصه على انتقاء مادتها وشرحها بدقة.

خامساً: تميز العلامة إبراهيم بصيلة – **رحمه الله** – بمنهج سلس وطريقة معينة ومنهج فريد في طريقة عرضه وشرحه للحاشية، فحرص – **رحمه الله** – على أن يشمل كل ما يتطلبه التفسير من شرح؛ وذلك ببيان لنوع السورة

أولاً، وعدد آياتها، وأوجه مناسبتها بما قبلها من السور، وذكر كل ما يتعلق بالآية من شرح لمعاني الغريب، وذكر لأسباب النزول، والأوجه الإعرابية، وأنواع القراءات من متواترة وشاذة وموضوعة، ونسبة كل قراءة لقارئها، وذكر أقوال المفسرين عند اختلافهم في تفسير الآية، وعرض للمسائل العقدية والفقهية وأقوال العلماء في ذلك، مع بيان الراجح منها أحياناً، حتى عُدَّ شرحه هذا من أهم المراجع التي توسع مدارك الباحث، وتثري فكره ومعلوماته، وسعة اطلاعه من كل جانب، فيتبحر في كل علم.

ومن أهم التوصيات:

أولاً: أوصي الباحثين بالعناية بدراسة حياة ونشأة العلامة إبراهيم بصيلة رحمه الله تعالى لاسيما وقد كان فضيلته رئيس لهيئة كبار العلماء بجامع الأزهر، ونشرها وطباعتها لحيز الوجود.

ثانياً: العناية بدراسة موارد الكتاب المخطوطة ونشرها محققة؛ لإثراء مكتبة التفسير وعلوم القرآن الكريم.

ثالثاً: دراسة علوم القرآن بحاشية الكنز الجليل على مدارك التنزيل، ومدى تأثيرها بالتفسير.

وأخيراً أسأله سبحانه أن يسدد قولي، وأن ينفع بقلمي، ويتقبل مني، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

١- الأدنه وي، أحمد بن محمد (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م)، طبقات المفسرين، السعودية: مكتبة العلوم والحكم.
٢- الألباني، محمد، صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي.
٣- الألوسي (١٤١٥هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت: دار الكتب العلمية.
٤- الأندلسي، ابن هذيل، عين الأدب والسياسة في زين الحسب والرياسة، ط٢، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.
٥- الأندلسي، أبو حيان (١٤٢٠هـ)، البحر المحيط في التفسير، بيروت: دار الفكر.
٦- الأنصاري، عمر بن قاسم (١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م)، المعروف بالنشَّار، المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.
٧- البغوي، الحسين (١٤٢٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، بيروت: دار إحياء التراث.
٨- البلخي، مقاتل بن سليمان (١٤٢٣هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، بيروت: دار إحياء التراث.
٩- البوصيري، أحمد (١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م)، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، الرياض: دار الوطن للنشر.
١٠- البيضاوي، عبد الله (١٤١٨هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت: دار إحياء التراث.
١١- البيهقي، أحمد (١٤١٣هـ = ١٩٩٣م)، الأسماء والصفات، جدة- المملكة العربية السعودية: مكتبة السوادي.
١٢- الثعلبي، أحمد (١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، بيروت- لبنان: دار إحياء التراث العربي.

١٣- ابن الجزري، محمد (١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م)، شرح طيبة النشر في القراءات، ط٢، دار الكتب العلمية.
١٤- ابن الجزري، محمد، النشر في القراءات العشر، المطبعة التجارية الكبرى.
١٥- جواد علي، (١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، دار الساقي.
١٦- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (١٤٢٢هـ)، زاد المسير في علم التفسير، بيروت: دار الكتاب العربي.
١٧- حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (٢٠١٠م)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تركيا/ إستانبول: مكتبة إرسيكا.
١٨- الحربي، عاتق (١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م)، معالم مكة التاريخية والأثرية، دار مكة.
١٩- ابن حزم، علي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، القاهرة: مكتبة الخانجي.
٢٠- الحموي، ياقوت (١٩٩٥م)، معجم البلدان، ط٢، بيروت: دار صادر.
٢١- الخازن، علي (١٤١٥هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، بيروت: دار الكتب العلمية.
٢٢- الخطيب الشربيني، محمد (١٢٨٥هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، القاهرة: مطبعة بولاق الأميرية.
٢٣- الخطيب الشربيني، محمد (١٤١٥هـ = ١٩٩٤م)، مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية.
٢٤- الخفاجي، شهاب الدين، عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، بيروت: دار صادر.
٢٥- ابن خِلِّكَان، أحمد (١٣٩٧هـ = ١٩٠٠م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت: دار صادر.

٢٦- الدمياطي، أحمد بن محمد (١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م)، الشهير بالبناء، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ط٣، لبنان: دار الكتب العلمية.
٢٧- الذهبي، محمد (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م)، سير أعلام النبلاء، ط٣، مؤسسة الرسالة.
٢٨- الذهبي، محمد (١٤١٩هـ = ١٩٩٨م)، طبقات الحفاظ، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.
٢٩- الذهبي، محمد، ميزان الاعتدال، بيروت- لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر.
٣٠- الرازي، فخر الدين (١٣٧٣هـ)، لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، مصر: المطبعة الشرفية.
٣١- الرازي، فخر الدين (١٤٢٠هـ)، مفاتيح الغيب ، ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٣٢- الزبيري، وليد، القيسي، إياد، الحبيب، مصطفى، القيسي، بشير، البغدادي، عماد (١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م)، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، مانشستر / بريطانيا: مجلة الحكمة.
٣٣- الزجاج، إبراهيم (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م)، معاني القرآن وإعرابه، بيروت: عالم الكتب.
٣٤- الزركلي، خير الدين (٢٠٠٢م)، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء المستعربين والمستشرقين، ط١٥، بيروت – لبنان: دار العلم للملايين.
٣٥- الزمخشري، محمود (١٤٠٧هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي.
٣٦- السبت، خالد (١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م)، قواعد التفسير جمعاً ودراسة، القاهرة: دار ابن عفان، دار ابن القيم.

٣٧- ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م)، إصلاح المنطق، دار إحياء التراث العربي.
٣٨- السمرقندي، أبو الليث نصر، بحر العلوم.
٣٩- السمعاني، منصور(١٤١٨هـ = ١٩٩٧م)، تفسير القرآن، الرياض: دار الوطن.
٤٠- السيوطي، عبدالرحمن (١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م)، الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٤١- السيوطي، عبدالرحمن، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت: دار الفكر.
٤٢- السيوطي، عبدالرحمن، لباب النقول في أسباب النزول، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.
٤٣- أبو السعود، محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٤٤- الشهرستاني، محمد، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي.
٤٥- الشوكاني، محمد (١٤١٤هـ)، فتح القدير، دمشق- بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.
٤٦- الشيباني، ابن حنبل (١٤٢١هـ = ٢٠٠١م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة.
٤٧- الطبراني، سليمان، المعجم الكبير، ط٢، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
٤٨- الطبري، محمد بن جرير (١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مؤسسة الرسالة.
٤٩- الطيالسي، سليمان (١٤١٩هـ = ١٩٩٩م)، مسند أبي داود الطيالسي، مصر: دار هجر.

٥٠- الطيبي، شرف الدين الحسين (١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

٥١- ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٨٤م)، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر.

٥٢- ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد (١٤٢٣هـ)، تفسير القرآن الكريم، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

٥٣- العسقلاني، ابن حجر (١٣٩٠هـ = ١٩٧١م)، لسان الميزان، ط٢، بيروت/ لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٥٤- الفارسي، أبو علي (١٤١٣هـ = ١٩٩٣م)، الحجة للقراء السبعة، دمشق – بيروت : دار المأمون للتراث.

٥٥- الفراهيدي، الخليل، العين، دار ومكتبة الهلال.

٥٦- الفيروز آبادي، محمد، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي.

٥٧- القاضي، عبدالفتاح (١٤١٢هـ = ١٩٩٢م)، الوافي في شرح الشاطبية، ط٤، مكتبة السوادي.

٥٨- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م)، الجامع لأحكام القرآن، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية.

٥٩- الكفوي، أبو البقاء، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٦٠- الكلبي، ابن جزي (١٤١٦هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم.

٦١- الماوردي، علي (١٤١٩هـ = ١٩٩٩م)، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.
٦٢- الماوردي، علي، النكت والعيون، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.
٦٣- مختار، أحمد (١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب.
٦٤- المرعشلي، يوسف (١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م)، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، بيروت/ لبنان: دار المعرفة.
٦٥- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد (١٤٢١هـ)، إعراب القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية.
٦٦- النعماني، ابن عادل (١٤١٩هـ = ١٩٩٨م)، اللباب في علوم الكتاب، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.
٦٧- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب، دار الفكر.
٦٨- نويهض، عادل (١٤٠٩هـ = ١٩٨٨م)، معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط٣، لبنان: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والنشر والتوزيع.
٦٩- النيسابوري، الحسن (١٤١٦هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، بيروت: دار الكتب العلمية.
٧٠- النيسابوري، الحاكم (١٤١١هـ = ١٩٩٠م)، المستدرك على الصحيحين، بيروت: دار الكتب العلمية.
٧١- الهروي، محمد (٢٠٠١م)، تهذيب اللغة، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٧٢- الهيثمي، علي (١٤١٤هـ = ١٩٩٤م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، القاهرة: مكتبة القدسي.